خُلِقْتُ لِلحَرْبِ أُحْمِيها إذا بَرَدَتْ
وَأَصْطَلي نارَها في شِدّةِ اللَّهبِ[١]
بِصَارِمٍ حَيْثُما جَرّدْتُهُ سَجَدَتْ
لَهُ جَبابِرَةُ الأعْجامِ وَالعَرَبِ[٢]
وَقَدْ طَلَبْتُ مِن العَلْياءِ مَنْزِلَةً
بِصَارِمي لا بِأمّي لا وَلا بِأبي[٣]
فَمَنْ أجَابَ نَجَا مِمّا يُحَاذِرُهُ
وَمن أبى ذاقَ طَعمَ الحَرْب وَالحَرَبِ[٤]

سيذكرني قومي

يعاتب دهره ويشكو جور قومه:

[الطويل]

أُعاتِبُ دَهْراً لا يَلِينُ لِعَاتِبٍ،
وَأطلبُ أمناً من صُرُوفِ النّوَائبِ[٥]

(١)، (٢) لكلّ مخلوق دور في هذا الوجود، ومن أجله خُلِقَ، ودور عنترة أن يكون مُشعل حروب، فهو يزيدها اضطراماً، ويقتحم نارها عند اشتدادها، ولن تؤثر فيه أو عليه. ذلك أن بيده صارماً بتّاراً سرعان ما تخور الجبابرة الأبطال سواء أكانوا عرباً أم عجماً إذا جرّده ولاح شراره.

(٣) لا يفخر الشاعر لا بأمه ولا بأبيه بل يفخر بقوّة وشِدَّة بأسه في الحرب؛ وهذا ما ساعده على اعتلاء ذرى المجد.

(٤) والناس بين أمرين: إما إجابة طلبي فيكون حليفهم النجاة وإما رفض ما أطلبه منهم، فمآل هؤلاء الخسران المبين والموت الأليم، فضلاً عن سلبهم ما يمتلكون من حياة ومتاع.

(٥) النوائب، واحدتها نائبة: المصائب. عادة ما يكون العتاب بين مثيلين أو =

وَتُــوعِــدُنــي الأيّــامُ وَعْــداً تَــغُــرُّنــي،
وَأعــلــمُ حَــقّــاً أنّــهُ وَعــدُ كــاذِبِ(١)
خَــدَمْــتُ أنــاســاً، وَاتّــخَــذْتُ أقــارِبــاً
لــعَــوْنــي، وَلــكــنْ أصْــبــحــوا كــالــعــقــارِبِ(٢)
يُــنــادونَــنــي فــي الــسِّــلــمِ يــابــنَ زَبــيــبَــةٍ،
وَعــنــدَ صِــدامِ الــخــيــلِ يــابــنَ الأطــايــبِ(٣)
وَلَــوْلا الــهَــوَى مــا ذلّ مــثْــلــي لِــمــثْــلِــهــم،
وَلا خَــضَــعَــتْ أُسْــدُ الــفــلا لــلــثّــعــالِــبِ(٤)

= ندين. فالشاعر يلوم الدهر المعاند الصعب المراس، فهو لا يلين لاختلاف ميول الطرفين المتعاتبين، والشاعر يسعى في بحثه الدّؤوب بحثاً عن الأمن الاجتماعي، فثمّة فوارق اجتماعية تحرمه من الشعور بالأمن وتحميه من نوائب وغدرات الزمن.

(١) نظر الشاعر إلى ما لديه من قوّة وقيم تجعل منه كعبة يحجّ إليها السعاة للحماية والأمن فظنّ أنه غاية هؤلاء فوثق بأن الزمن سيسمح له بتحقيق أمانيه وأحلامه، ولكن سرعان ما بدت حقيقة تلك الأوهام فإذا بالوعود تكشف عن وجه حقيقة كاذبة.

(٢)، (٣) كانت تجربة عنترة مع البشر تنمّ عن ظلم فاحش ورياء تغلّفه مظاهر المصانعة والكذب الصراح؛ فهم في السلم يعيّرونه بأمه، ولا بد له في ذلك، ولكن عندما يحتاجون إلى جهده وحمايته تنقلب الموازين فينادونه بابن الأطايب وينسبونه إلى أبيه النبيل والسيد الكريم. ورغم خدمتي لهم، سواء أكانوا أقاربي أم غرباء، فإنهم ينكشفون عن عقارب قاتلة كشفت عن أقنعتها.

(٤) إن من أسباب ظهور الشاعر بالمظهر الصعب حبّه لعبلة؛ فهو ليّن الجانب لبني عمّه، فيستغلون فيه هذا الجانب، وفي الحقيقة فإن خضوعه خضوع أسد ضعيف لثعالب امتازت بالمكر والخديعة، فانتهزت الفرصة لتمعن في إذلاله وتحطيم كبريائه.

سَيَذكرُني قَوْمي إذا الخيلُ أصْبحتْ
تَجُولُ بها الفُرْسانُ بينَ المضَارِبِ[١]
فإنْ هُمْ نَسوني فالصّوَارِمُ وَالقَنَا
تُذَكِّرُهُمْ فِعلي وَوَقْعَ مَضَارِبي[٢]
فَيا لَيْتَ أنّ الدّهْرَ يُدْني أحبّتي
إليّ، كمَا يُدْني إليّ مَصَائبي[٣]
وَلَيْتَ خيالاً منكِ يا عَبْلَ طارِقاً
يرَى فيضَ جَفني بالدموع السواكبِ[٤]
سَأصْبِرُ حتى تطّرِحني عَوَاذِلي
وَحتى يَضِجَّ الصّبرُ بَينَ جَوَانبي[٥]

---

(١)، (٢) يذكر الشاعر حقيقة قد جعلت منها الأحداث حقيقة وواقعاً، فإذا جالت فرسان الأعداء في مضارب بني عبس اشتدت حاجة المُدّعين الفروسية الحقة لمصانعة عنترة ليردّ الأعداء عن بني قومه؛ ونسيانهم سرعان ما يتلاشى، فسُيوف الأعداء وحرابهم تجبر العبسيين على تذكرهم لعنترة والاعتذار له، مما يُزيح عن كاهله الإحساس بالحرمان، فإذا به يُسارع لنجدتهم شأن الذين ينسون الإساءة وقت الضيق وساعة الحرج.

(٣) يتمنّى الشاعر لو أن الدهر الكنود يبسم له والحظ يواتيه فيدنيان أحبته إليه، كما يدني إليه المصائب سواء بسواء.

(٤) لذا يتمنّى الشاعر خيالاً فقط في ليل لا يؤرّقه وساوس الهجر والحرمان، ويكون إلى جانب عبلة، وبدل تبادل الغزل بينهما سوف يرى دموعاً تنسكب تعبيراً عن مدى حبّ ينغرز في الضلوع.

(٥) عزم الشاعر على تناول دواء يتجرّعه؛ إنه الصبر، رغم ما يفعله الأعداء والعواذل الذين لا يريمون جاهدين على التفريق بين الشاعر وعبلة، ولكن إلى حين، عندئذٍ سوف ينفجر بركان الغضب وتثور ثائرة عنترة.

مَـقـامُـكِ فـي جَـوّ الـسّـمـاءِ مـكَـانُـهُ،
وَبـاعـي قـصِـيـرٌ عَـنْ نَـوَال الـكـوَاكـبِ[١]

خيول عوابس

يصف خيلاً:

[الكامل]

وَغَـدَاةَ صَـبّـحْـنَ الـجِـفَـارَ عَـوَابـسـاً
يَـهْـدي أوَائِـلَـهُـنّ شُـعْـثٌ شُـزَّبُ[٢]

(١) لقد تربّعتِ مكاناً في القلب سامياً لا يُسمح لأحد غيركِ أن يشغله، ومشكلة الشاعر أن يده تتقاصر فلا يستطيع الإمساك بالنجوم في مسراها حيث تربعت.

(٢) الجفار: يوم الجفار، والجفار موضع. الشعث: الرؤوس المشعثة المغبرة. الشزبُ: الضوامر اليابسة. إنها المفاجأة فلا يزال القوم نياماً في الصباح الباكر فإذا ببني عبس يُغيرون على تلك الديار، ويُعملون قتلاً ونهباً، وهم يمتطون خيولهم وقد علت الغبار رؤوسهم المشعثة المغبرة.